

القراءة والمطالعة في المؤسسات العقابية أي دور تلعبه المكتبة؟

Reading In penal institutions What role does the library play ?

باحثة بجامعة وهران 2

مكناس فطيمة*

bent_alicherif209@yahoo.fr

جامعة وهران 1

عبد الاله عبد القادر

kaderoabdel@gmail.com

تاريخ النشر: 2025-12-31

تاريخ القبول: 2025-05-05

تاريخ الإرسال: 2021-09-15

ملخص: لا يقتصر دور المكتبة فقط على توفير مختلف المواد المعروفة لدى العامة من كتب ومستلزمات بل تؤدي عدة وظائف ومنها الوظيفة الاجتماعية من خلال انتقالها من حيزها المستقل المكتبات العامة والخاصة في الفضاءات العامة إلى فضاءات أخرى تشمل المرافق العمومية جامعات ومدارس ومستشفيات وحتى المؤسسات العقابية والتي نحاول في هذا المقال التعمق في الدور الذي تلعبه مكتبات السجون من خلال عمليتي القراءة والمطالعة في حياة السجين والبحث في الآثار المترتبة عن ذلك.

الكلمات المفتاحية: المكتبة، القراءة، المطالعة، المؤسسات العقابية، مكتبة السجون

Abstract : The role of the library is not limited to providing the various materials commonly known to the public, such as books and supplies. It also performs several functions, including a social one, through its transition from being an independent entity—public and private libraries in public spaces—to other environments. These include public facilities such as universities, schools, hospitals, and even correctional institutions. In this article, we seek to explore in depth the role played by prison libraries through the practices of reading and studying in the life of the inmate, as well as to examine the resulting impacts of these activities.

Keywords: library, reading, study, correctional institutions, prison library .

* الباحث المُرسل: bent_alicherif209@yahoo.fr



مقدمة:

يعد فضاء السجن من بين الفضاءات الخاصة فهو الفضاء الذي يحد من حرية الفرد بل ويسلبه مجموعة من الحقوق، إلا أن الملاحظ هو ظهور مجموعة من التحولات في قطاع

العدالة على كل المستويات ومنها الإدارية، بغية خدمة المواطن وتسهيل الإجراءات مما أعطى دفعا في ترقية الخدمة العمومية، وينسحب الأمر كذلك على أحد فروع هذا القطاع ألا وهو قطاع المسجون الذي ما فتئت السلطات المعنية إلى إصلاحه؛ عبر سلسلة من التحديثات على مستوى مختلف هياكله من ترسانة قانونية وتحسين ظروف المسجون (النزيل) وإعادة تأهيله ومحاولة دمج من جديد في المجتمع. هذه التحسينات كان من جملتها تأهيل المسجون (النزيل) من خلال تكوينه أو تدريبه داخل المؤسسة العقابية بحيث تم اشتراط النجاح في الدراسة داخل هذه الأخيرة من أجل الحصول على إجراءات التخفيف، ولما كان التعليم شرطا في ذلك كان لازما توفير البيئة المناسبة لمواكبة هذه العملية ألا وهي المكتبة.

المكتبة داخل هذا الفضاء تطرح في الحقيقة عدة زوايا للبحث سواء سوسيولوجيا أو نفسيا أو حتى إحصائيا لكننا في هذا المقال سنركز على أهمية المكتبة داخل المؤسسة العقابية من خلال عمليتي القراءة والمطالعة.

1- المكتبة بين الفضاء العام والخاص.

يعود تاريخ المكتبات¹ إلى الحضارات القديمة حيث ظهرت في حضارة بلاد ما بين النهرين والنيل. وقد عُرفت بتسميات مختلفة؛ إذ أطلق عليها السومريون اسم بيت اللوحات الكبير وسموها الفراعنة قاعة كتابات مصر أو مكان إنعاش الروح، وعند اليونان سُميت ببليوتيكاً، وعند الرومان ليبري. أما في الحضارة العربية الإسلامية فاستُخدمت كلمة دار، خزانة، بيت للدلالة على المكتبة.

فالمكتبة كحيز مكاني ظل تاريخيا يترنح بين الخاص والعام فلم تكن جميع المكتبات متاحة أمام الجمهور أو الأفراد العاديين (المستفيدين)؛ فوصولا إلى الوقت الراهن (العصر الحديث) نجد أن هذا التقسيم أكثر دلالة ووضوحا من خلال التموقع والتوجه أحيانا أخرى؛ فالمكتبات العمومية "مكتبة مفتوحة للعامة على غرار المكتبة الخاصة... مكتبة

تُمَوِّلها الأموال العامة...² وهي تشتغل في الفضاء العام، ومهما تعددت تعريفات الباحثين لها فهي تتفق على وجود المبادئ³ الأربعة الأساسية الآتية:

❖ تقديم المكتبة العامة جميع خدماتها للمجتمع بمختلف فئاته.

❖ تقديم المكتبة العامة لخدماتها يكون مجاناً.

❖ قيام الدولة بإنشاء المكتبة العامة.

❖ قصد الأفراد للمكتبة العامة يكون من تلقاء أنفسهم.

هذه المكتبات ورغم اكتساحها للفضاء العام إلا أن ذلك لم يمنع من إنشاء أقسام لها داخل هيئات ومؤسسات أخرى لتقريبها من الأفراد من جهة، ولتأدية وظائف وتقديم خدمات من جهة أخرى. نجد مثلاً من بين تلك الفضاءات الخاصة المستشفيات؛ فبالرغم من وجود المكتبة الطبية إلا أنها توسعت وأصبحت تراعي شؤون مرتادي المستشفيات من مرضى وموظفين وغيرهم. الشيء نفسه بالنسبة للمؤسسة العقابية (السجن) والتي هي محل دراستنا هذه لما تُشكِّله من ركن خاص وفق عدة اعتبارات منها أنها مكان سالب لحريات الأشخاص الذين ينزلون به، ومقيد لها نتيجة لتوقيع جزاء ضد سلوك مخالف للقانون، ومنها أنها مكان تفرض فيها الرقابة بشكل صارم على المسجون (النزيل)؛ بما في ذلك مختلف أشكال المطبوعات (وهذا خاص جداً بسجناء الرأي والسياسيين... إلخ).

2- السجن من فكرة العقاب إلى فكرة الإصلاح والتكوين.

جاء في القاموس المحيط التعريف اللغوي للسجن من الفعل سَجَنَ "سَجَنَهُ حَبَسَهُ وَالْهَمَّ لَمْ يَبْنِهِ وَالسَّجْنَ بِالْكَسْرِ: الْمُحْبَسُ. وصاحبه: سَجَّانٌ وَالسَّجِينُ: الْمَسْجُونُ، ج. سُجْنَاءٌ وَسَجْنَى، وهي: سَجِينٌ وسَجِينَةٌ ومسجونة، من سَجَنَى وسَجَّانٌ..."⁴، فالسجن لغوياً هو المكان الذي يُسجن فيه الإنسان؛ وبهذا المعنى (المكان) نجده يوافق قصة يوسف عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى في مُحْكَم تنزيله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁵. السجن⁶ بفتح السين يعني الحبس والمنع من الانطلاقة وبكسر السين هو المكان الذي يُحبس فيه المتهمون والمجرمون. ورد في القانون رقم 04-05 المؤرخ في 27 ذي الحجة عام 1425 الموافق 6 فبراير سنة 2005 المتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين في المادة 25 منه: "المؤسسة العقابية هي مكان للحبس تُنفذ فيه وفقاً للقانون العقوبات السالبة للحرية، والأوامر الصادرة عن الجهات القضائية، والإكراه البدني عند الاقتضاء. وتأخذ المؤسسة

العقابية شكل البيئة المغلقة أو شكل البيئة المفتوحة...⁷ فالشكل الأول منهما يقتضي الوجود الإلزامي للسجين (التزيل) داخل المؤسسة العقابية، أما الشكل الثاني فلا يقتضي ذلك. ويُعرّف السجن⁸ على أنه المكان الذي يُنقذ فيه المحكوم عليهم بعقوبة مُقيّدة للحرية (حبس، سجن، أشغال شاقة بنوعها) مدة العقوبة.

نجد لمصطلح السجن مرادفات إلى جانب كلمة حبس أو تسميات مشابهة قد يؤدي معناها وظيفة أخرى حتى وإن تشابهوا في الوظيفة الأساسية ألا وهي الحد من حرية الأفراد وتقييدها؛ ومن بين المرادفات⁹ الآتي:

❖ المؤسسة العقابية.

❖ مؤسسة إعادة الإصلاح والإدماج.

❖ مؤسسة إعادة التربية.

❖ مؤسسة إعادة التهذيب في بعض الدول.

من الملاحظ أن السجن كفضاء يحمل الكثير من الرمزيات لاسيما السلبية منها ومع تطور المجتمعات وازدياد نشاط الحركات ونشاطات جمعيات حقوق الإنسان أدى ذلك بدفع نحو إصلاح قطاع العدالة بصفة عامة والسجون بصفة خاصة؛ فانتقال مفهوم السجن من ذلك المفهوم المعبر عن المكان القذر والسيئ وغير اللائق بوجود أي شخص بين أرجائه. إضافة إلى التعامل مع السجن بصورة غير لائقة لما تحمله من قسوة واحتقار وعدم اكتراث للإنسانية، إلى مفهوم أكثر ليونة وسلاسة نتج عن ظهور بوادر إصلاح المنظومة العدلية والتي ظهرت تاريخيا في أوروبا مع منتصف القرن الثامن عشر بحيث قامت بتطوير أوضاع السجون وتحسين خدماتها بالموازاة مع تطوير وتحسين أحوال السجناء عن طريق تعليمهم وتدريبهم، ليكون الغرض من ذلك جعل السجن إنسانا يمكن تقويمه وتأهيله وإعادة دمجه في المجتمع من جديد. كانت الحالة النفسية (السيكولوجية) هي النقطة المركزية في التعاطي مع السجن فقد تمّ إفساح مجال قراءة الكتب الدينية والتهذيبية، وتعتبر هذه الأخيرة أولى أنواع الكتب التي دخلت إلى السجون؛ وهذا بغية تهذيب نفسية السجناء وتعريفهم بأخطائهم التي ارتكبوها¹⁰، ومن هنا انتقلت صورة السجن من مكان سلبى سالب للحرية وللتعذيب إلى مكان لمراجعة الذات وإصلاح الفرد ولقد لعبت مكتبة السجن دورا في ذلك.

3- مكتبة السجن:

من الناحية المورفولوجية تُعرّف مكتبة السجن¹¹ على أنها غرفة أو قاعة تحتوي على أرفف مليئة بالكتب والدوريات أو قد تكون عربة مليئة يدفعها أحد الأفراد بين عنابر السجن، أو عبارة عن طرود من الكتب تصل إلى السجن بصفة دورية... ويعرفها المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات بأنها " مكتبة يُديرها سجن لخدمة النزلاء، وقد تحتوي على مواد عامة أو مواد مساندة لبرامجها الثقافية وبعض الموضوعات القانونية"¹² وتكمن أهمية وجود مكتبة داخل هذا الحيز فيما ذكره "راي روبن Rhea Rubin" من المعهد الوطني للخدمات المكتبية لنزلاء السجون من أن السجن مكان منعزل مُمل ومخيف، والسجين يحتاج إلى الرفقة والهروب المؤقت من واقعه والتسلية والتجديد، وخدمات المكتبة قد تمنحه هذه الأشياء. إن السجن يمنح النزيل الفرصة لمراجعة نفسه وقراراته والخدمة المكتبية تُشجع على ذلك من خلال المواد المُعينة على تنمية الثقة بالنفس والثقافة الصحية لدى السجين، بالإضافة إلى مراجعة برامج التعليم العام والأبحاث القانونية،¹³ وتعريف آخر لمكتبة السجن يُشير حتى للأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ورد فيه: "المكتبات التي تنشأ داخل السجون أو المؤسسات الإصلاحية، بهدف تقديم الخدمات المكتبية والأنشطة الثقافية والمعلوماتية للنزلاء. ومكتبات السجون مجموعة من الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها منها: توفير أوعية المعلومات، وتهيئة الفرصة للنزلاء للاستفادة منها في أوقات فراغهم، وتحمل مسؤولية توفير التربية المهنية والاجتماعية والأخلاقية للنزلاء، وتنمية عادات القراءة لديهم".¹⁴

تاريخياً ترجع نشأة المكتبات داخل السجون¹⁵ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها أول دولة أنشئت فيها سجن بالمعنى النظامي عام 1820م، ويرجع إليها أيضاً فضل الريادة في تطوير خدمات المكتبات والمعلومات في السجون في العالم. فقد اهتمت سجون الولايات المتحدة اهتماماً بالغاً بتوسيع مجال تلك الخدمات بهدف إتاحة جميع الفرض والإمكانات التي تساعد على تقويم النزلاء. وبذلك أصبحت خدمات مكتبات السجون في هذه الدولة تُضاهي الخدمات التي تقدمها المكتبات الأخرى بل وتفوقها من حيث التنوع نظراً لظروف المجتمع الذي تخدمه المكتبة.

إذن يمكننا القول أن للمكتبة داخل السجن دور¹⁶ جد فعال، فهي تسعى إلى:

- ❖ شُغل أوقات النزلاء (المساجين) بما يُفيدهم وذلك بغية حفظ النظام والأمن داخل المؤسسة العقابية.
- ❖ رفع الروح المعنوية للسجين من خلال إكسابه مهارات وخبرات وتطوير قدراته السلوكية نحو الأحسن.
- ❖ تعليم المساجين (النزلاء) وثقافتهم وتوعيدهم على حب القراءة والاطلاع مما يعود عليهم بالنفع.
- ❖ مساعدة المساجين على مواصلة تحصيلهم العلمي والمعرفي من خلال تدريسهم ومزاولة تكوينهم الدراسي.
- ❖ العمل على إصلاح المساجين ومحاولة إدماجهم من جديد في المجتمع بعد استنفاد مدة عقوباتهم.
- ❖ التخفيف من نسب الجريمة عن طريق الرفع من المستوى الثقافي والعلمي.
- ❖ ربط المساجين بالحياة الخارجية من خلال عمليتي القراءة والمطالعة عبر الصحف والجرائد والمجلات.
- ❖ تعزيز العلاقة بين السجين (النزيل) والمجتمع عن طريق عملية التعليم والتعلم، هذا بتعريفه بحقوقه وواجباته من خلال الكتب المخصصة لذلك.
- ❖ توفير المواد المكتبية التي تخدم النزلاء العاملين في معامل السجون من خلال توفير المعلومات المهنية التي من شأنها مساعدتهم على تنمية معارفهم.
- ❖ تعزيز القيم الاجتماعية وتنمية الوعي بضرورة تحمل المسؤولية والصبر والاجتهاد في خدمة الآخرين، والحفاظ على الملكية العامة والبحث على العمل في جماعات بتكاتف الجهود.
- ❖ تشجيع النزلاء على التعامل مع الأفراد بشكل طبيعي من خلال تقوية شخصياتهم وإنماء قدراتهم وتحفيزهم على احترام ذواتهم.
- ❖ إلزام نزلاء السجون بضرورة احترام المعايير والضوابط المنظمة للحياة داخل وخارج السجون وذلك بإعادة تأهيلهم اجتماعيا.
- ❖ بالرغم من اشتراك مكتبة السجن مع المكتبات العامة في تحقيق الوظائف الأساسية للمكتبة المتعلقة بالتعليم والثقيف والإصلاح والترويح إلا أنه يقع على عاتقها عبء سد احتياجات النزلاء، ذلك لأنها تعتبر الوحيدة التي تسمح بدخول النزلاء إليها والاستفادة منها

وهو الركن الوحيد الذي يستطيع النزول من خلاله تحقيق الهدف المنشود المتمثل في الإصلاح وتطوير الذات، وغيرها من الوظائف والأهداف الأخرى. ولما كان السجن فضاء خاصا يضم مجتمعا أكثر تنوعا واختلافا وأكثرها تغيرا، ونزلاء السجون عادة من أقل الناس تعليما أو من عديدي القدرة على القراءة والاطلاع، لذلك لا يمكن تقنين الخدمة المكتبية كما هو الحل في المكتبات الأخرى. بل يجب أن تخضع إلى تنظيم خاص يتماشى مع الأهداف المسطرة بالإضافة إلى خصوصية المكان ويمكن أن تُعد في هذا الصدد الآتي¹⁷:

❖ إعداد رزنامة خاصة بنزلاء السجن المترددين على المكتبة وإتاحة فرصة زيارتها من دون تمييز؛ باستثناء ما يفرضه نظام السجن من حرمان لبعض النزلاء من ارتياد المكتبة والاطلاع على رصيدها.

❖ خلق انسجام بين مختلف نشاطات النزلاء المتنوعة وبين استخدام المكتبة والمساهمة في إتاحة برامج التدريب والتعليم والإرشاد المتاحة للنزلاء.

❖ تقديم الكتب التعليمية والمهنية والتثقيفية والأخلاقية.

❖ تجنب المواد المكتبية التي تعالج موضوعات كالجنس والسياسة مثلا.

❖ تنمية الوازع الداخلي للنزلاء عن طريق عقد محاضرات أو ندوات عن الجرائم والانحراف.

❖ تقديم الخدمة المكتبية لمرضى المساجين في المستشفيات في زنازينهم.

❖ التوعية عن طريق تقديم خدمات سمعية بصرية من خلال عرض أفلام هادفة على سبيل المثال.

❖ توفير الدوريات، النشرات والصحف المختلفة.

تبيّن من خلال معالجة هذا الموضوع أن المكتبة داخل السجن تقوم بدور هام باعتبارها ركيزة أساسية لا يمكن التغاضي عن أهميتها من خلال ما توفره من خدمات، وما تسعى إلى تحقيقه من أهداف أثناء تأدية وظائفها، هذه الأخيرة التي لا تتنافى مع أهداف السجن والتي تأتي في صدارتها الإصلاح والتأهيل للنزلاء اللذين من شأنهما المساهمة في جعل السجين (النزيل) يتكيف مع المحيط الخارجي ويعيد بناء شخصيته. وحتى نعزف على الوتر الحساس المتمثل في نفسية نزيل السجن من أجل بعث الأمل في أن يكون فردا صالحا يعود بالنفع على نفسه بالدرجة الأولى وعلى من حوله، تعمل البرامج الإصلاحية المسطرة والجهود المبذولة من أجل توعية وتصويب أفكار النزلاء بغرض الإصلاح والتأهيل بدعم من خدمات

المكتبة؛ فالمكتبة كفضاء معرفي، ثقافي، ترفيهي، تعليمي تعتبر السبيل الوحيد لنزلاء المؤسسات العقابية لتحريرهم من وقع الألم المترتب عن العقوبة وما يصاحبه في كثير من الأوقات من حسرة وندم إلى فسحة أمل نحو مستقبل كله تغيير وتحدي واندماج، وبهذا تساهم مكتبة السجن وما تقدمه من خدمات في انتشار النزيل من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة من خلال تنمية روح القراءة لديه للتكيف مع أي ظرف وبغض النظر عن مدة العقوبة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ ربحي مصطفى عليان، أمين النجاوي. مقدمة في علم المكتبات والمعلومات. ط. 03. مزيدي ومنقحة. عمان: دار الفكر، 2005. ص. 09
- ² Pascal FOUCHE, Jean-Dominique MELLOTT, Alain Nave et al; Henri-Jean MARTIN. Dictionnaire encyclopédique du livre (A-D). Paris: éditions du cercle de la librairie, 2002, p.310.
- ³ محمد فنجي عبد الهادي، نبيلة خليفة جمعة. المكتبات العامة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001. ص. 17، 18
- ⁴ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي؛ تح. أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد. القاموس المحيط مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف. القاهرة: دار الحديث، 2008. ص. 749. متاح على الرابط: <https://www.noor-book.com>
- ⁵ القرآن الكريم. سورة يوسف، الآية: 33.
- ⁶ محمد الشناوي محمد. تطوير السجون في ضوء القوانين الحديثة والمواثيق الدولية. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية، 2018. ص. 43
- ⁷ قانون رقم 04-05 المؤرخ في 27 ذي الحجة عام 1425 الموافق 6 فبراير سنة 2005 يتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين. ج.ر.ع. 12. 2005. ص. 13
- ⁸ الموسوعة العربية الميسرة. المجلد 03: س.ك. ط. 02 المحدث. القاهرة: دار الجيل، 2001. ص. 420
- ⁹ جعفر عبد الأمير علي الباسين. دراسة تاريخية قانونية اجتماعية. ط. 01. بيروت: مكتبة زين الحقوقية والأدبية، 2016. ص. 18، 19
- ¹⁰ سريع بن محمد السريع. مكتبات السجون والمؤسسات الإصلاحية. مجلة مكتبة فهد الوطنية. مج. 03. ع. 01. الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 1997. ص. 83، 84. متاح على الرابط: <http://search.mandumah.com>
- ¹¹ السريع، سريع بن محمد. نفس المرجع. ص. 81
- ¹² عماد ممدوح عبد الحليم. علم المكتبات والمعلومات: الأسس والاتجاهات الحديثة. ط. 01. الدمام: مكتبة المنتهي، 2018. ص. 63، 64
- ¹³ السيد السيد النشار. مكتبات السجون. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 2001. ص. 29
- ¹⁴ سريع بن محمد السريع. مرجع سبق ذكره. ص. 82
- ¹⁵ خالد عبده الصرايرة. الكافي في مفاهيم علوم المكتبات والمعلومات: عربي-إنجليزي. عمان: كنوز المعرفة، 2010. ص. 317
- ¹⁶ عبد الحليم، عماد ممدوح. مرجع سبق ذكره. ص. 63
- ¹⁷ السريع، سريع بن محمد. مرجع سبق ذكره. ص. 83
- ¹⁸ مكتبات السجون. متاح على الرابط: <http://suzanlegend.blogspot.com/2014/12/prison-u.html>